

سورة هود

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (56)

شرح الكلمات:

{ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ } زائدة { دَابَّةٌ } نَسَمَةٌ تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ { إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } أي مَالِكُهَا وَقَاهِرُهَا فَلَا نَفْعَ وَلَا ضَرَرَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَخَصَّ النَّاصِبَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ مَنْ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ يَكُونُ فِي غَايَةِ الدُّلِّ { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } أي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى: { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ } أي اعتمدت في أمري كله على الله { رَبِّي وَرَبِّكُمْ } أي هو خالق الجميع ومدبرنا وإياكم وهو الذي ربانا

{ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعا على الإيقاع بي والله لم يسلطكم علي لم تقدروا على ذلك فإن سلطكم فلحكمة أرادها ف { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } أي على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره في شرعه وأمره وفي جزائه وثوابه وعقابه

لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يحمد ويشي عليه بها وقوله تعالى: { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ } فهو وحده القادر على حفظي وكلاءتي { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ } وهي كل ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوان وطير { إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } أي مالك أمرها، وقاهرها؛ فلا تتحرك إلا بإرادته، ولا نفع ولا ضرر يقع منها أو عليها إلا بمشيئته وخص الناصية بالذكر: لأن من أخذ بناصيته: يكون في غاية الذلة، ونهاية الاستكانة؛ ولذا كانوا يجزون ناصية المذنب إمعاناً في إذلاله وتحقيره والناصية: شعر مقدم الرأس { إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } يقضي بين عباده بالحق؛ فيثيب المحسن على إحسانه، ويجازي العاصي على عصيانه.

وهو القادر على كل شيء، فليس من شيء يدب على هذه الأرض إلا والله مالكة، وهو في سلطانه وتصرفه. إن ربي على صراط مستقيم، أي عدل في قضائه وشرعه وأمره. يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

و يعلن لهم هود عليه السلام حقيقة أنه يتوكل على الله تعالى الذي لا يعلوهم فقط، ولا يرزقهم وحدهم، بل هو الآخذ بناصية كل دابة تدب في الأرض ولها حرية وحركة، والناصية هي مقدم الرأس، وبها خصلة من الشعر.

وحين تريد إهانة واحد فأنت تمسكه من خصلة الشعر هذه وتشده منها. والحق سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في منتهى قدرته، وقهره وسيطرته، ولا شيء يفلت منه، ومع كل قدرة الله تعالى اللامتناهية فهو لا يستعمل قهره في الظلم.

لا يتحقق التوكل على الله إلا بأربعة شروط:

- 1- تقييد التوكل وحصره في الله تعالى.
- 2- الاعتقاد بأن الله هو القادر على تحقيق مطالب العبد وحاجاته، وأن كل ما يحصل له إنما هو بتدبير الله وإرادته.
- 3- اليقين بأن الله سيحقق للعبد ما يتوكل عليه فيه إذا أخلص نيته، واتجه إلى الله بقلبه.

4- عدم اليأس والقنوط فيما يتوجه به العبد إلى ربه من التوكل عليه في قضاء حاجاته.

ثمرات التوكل على الله:

- 1- حصول الإيمان.
- 2- حصول التوفيق.
- 3- النجاة من فتنة الشيطان.
- 4- محبة الله عز وجل.
- 5- الكفاية من كل وجه.
- 6- حصول الثبات.
- 7- حصول النصر والتمكين.
- 8- يورث السلامة من كل سوء.
- 9- يجلب الرزق من حيث لا يحتسب المرء.
- 10- يورث الثقة بالله.

لا بد هنا أخي القارئ من التنبيه إلى أمور ثلاثة:

الأمر الأول:

- 1- أن التوكل لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب.
- 2- الأمر الثاني: يجب الأخذ بالأسباب وإن كانت هذه الأسباب ضعيفة في نفسها وتتسم بالهامشية، فعندما كان الله يريد أن يطعم مريم عليها السلام، وهي في حالة أقصى حالات الوهن والضعف، أمرها أن تقوم بهز جذع النخلة؛ لأن علينا الأخذ بالسبب ولو ضَعُف.

- 3- الأمر الثالث: عليك عدم الاعتماد على الأسباب بشكل أساسي، ولكن اجعل اعتمادك على الله في البداية والنهاية، فلا يجب الاعتماد إلا على الله وحده، ومع الأخذ بالأسباب؛ لأن الله قبل كل شيء هو من يقدر الأمور بأسبابها.

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (450)



قوله من تفسير السورة 56

تهدى ولا تباع

ولا تسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

9- يصدق الاعتماد على ربه عز وجل؛ حيث يعلم أنه سبحانه وتعالى بيده الخير، وهو الذي يدبر الأمور.

10- حقيقة التوكل لا تنافي فعل الأسباب التي جعلها الله تبارك وتعالى سبباً، بل إن فعل الأسباب التي جعلها الله تعالى سبباً - سواء كانت شرعية أم حسية - هي من تمام التوكل، ومن تمام الإيمان بحكمة الله عز وجل؛ لأن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً.

11- إن التوكل على الله عباداً لا يعرفها إلا عباده الصادقين، وهي سبيل المخلصين المؤمنين بالقضاء والقدر.

12- أقسام التوكل

1- أن يتوكل العبد على الله في قرارة نفسه لإصلاح نفسه، وأنه يريد الاستقامة دون النظر إلى غيره.

2- أن يتوكل العبد على الله في إصلاح نفسه، وكذلك في نشر وتنفيذ دين الله في الأرض، والقضاء على الظلم عن عباده، والسعي إلى هدايتهم إلى طريق الصلاح، وإزالة ما أفسده المفسدون في هذه الأرض، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3- أن يتوكل العبد على الله في قضاء حوائجه وأموره الدنيوية؛ كالرزق والزواج، والانتصار على العدو في معركته الحياتية، ودفع الضرر والمصائب الدنيوية.

4- أن يتوكل العبد على الله في البعد عن الحرام؛ من ذنب ومعصية، أو الحفظ من طريق الضلال.

13- أمور تنافي التوكل الاعتماد على سبب لا قيمة له ولا تأثير له فيما لا يقدر على قضاء حوائجه إلا الله. الاعتقاد الخاطئ وهو أن السبب قائم بنفسه دون الله، فذلك يعد من الشرك الأكبر. نفي العبد لتأثير الأسباب بشكل كلي، وقد وصف العلماء ذلك بأنه نقص في تفكير العقل. قيام جوارح العبد بالأسباب، والاعتماد على مسبب الأسباب وهو الله.

الله اعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- تقرير مبدأ أن كل شيء في الكون خاضع لتدبير الله لا يخرج عما أراده له أو به.

2- إن التوكل على الله وحده وتفويض الأمور كلها إليه والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضرر والبلاء مقام عظيم من مقامات الدين الجليلة وفريضة عظيمة يجب إخلاصها لله وحده.

3- التوكل من أجمع أنواع العبادة وأهمها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة، فإنه إذا اعتمد القلب على الله في جميع الأمور الدنيوية والدنيوية دون من سواه صح إخلاصه وقويت معاملته مع الله وزاد يقينه وثقته بربه تبارك وتعالى .

4- دليل صحة الإيمان والإسلام التوكل على الله، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل.

5- التوكل أصل لجميع مقامات الدين ومنزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل .

6- حقيقة التوكل : اعتماداً على الله وحده لا شريك له مع فعل الأسباب المأمور بها والقيام بما دون تعد إلى فعل سبب غير مأمور أو سلوك طريق غير مشروع .

7- الناس منقسمون في هذا الأمر الجليل إلى طرفين ووسط؛ فأحد الطرفين عطّل الأسباب محافظةً على التوكل، والطرف الثاني عطّل التوكل محافظةً على الأسباب، والوسط علم أن حقيقة التوكل لا تتم إلا بالقيام بالأسباب فتوكل على الله في نفس السبب .

8- التوكل على الله يعد بلا ريب قوة دفع للمؤمن في حياته؛ فهو حين يؤمن أن توكله على الله يحقق له مطلبه ومبتغاه فإنه لن يتردد في العمل من أجل هذا المطلب.